الفضاء الرقمي في المتن السردي
قراءة في رواية "مملكة الفراشة" لواسيني الأعرج ورواية "شات" الرقمية لمحمد سناجلة

the Digital Space in the Narrative text
A Reading in Wassiny Al-Araj's *Kingdom of the Butterfly* and Muhammad Snajlah's Digital *"Chat"*

د. أمال بوكرت

جامعة البليدة2 (الجزائر)

amelarabedz@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/05/03 **تاريخ القبول: 2021/05/24**

ملخص:

ركزت الدراسة على تقصي ملامح الثورة الرقمية في الآثار الأدبية، بغرض تبين ملامح انعكاس التطور التكنولوجي وآثاره على الفنون الأدبية، ومدى مواكبتها لقضايا العصر في ظلّ العولمة والانفتاح، فتغلغل التكنولوجيا والإلكترونيات في حياة الناس أسفر عن عادات وطرق تفكير جديدة لم يشهدها الإنسان في تاريخه من قبل، مما يستلزم تكيّف الأدب مع هذه المتغيرات وتوظفيها للتعبير عن الدواخل الإنسانية بإيحائية وجمالية. ولأنّ الجدل اتسع حول طريقة تفاعل الإنتاجات الأدبية مع الوسائط الرقمية بين مؤيد ورافض لها، ارتأينا من خلال دراساتنا المقتضبة هذه تمثل طبيعة التأثير والتأثر بوسائل التواصل الاجتماعي بصفة خاصة، وكذا رصد الطرق التعبيرية المتعلقة بالإحالة على الفضاء الرقمي، إن كان من ناحية الجانب التقليدي المتعارف عليه أو من ناحية الجانب العصري المبتكر.

الكلمات المفتاحية: الفضاء الرقمي، الرواية، وسائل التواصل، التكنولوجيا، السرد.

Abstract:

The study focuses on examining the characteristics of the digital revolution in the literary effects, aiming to show the characteristics of the reflection of technological change and its impact on the literary arts, and the degree to which it addresses age concerns in the light of globalization and accessibility to technology and electronics that

penetrate people's lives, leading to new habits and ways of thinking that man never experienced. This requires literature to be adapted to these variables and their use to express human entries in a suggestive and aesthetic way. The debate is on how literary productions interact with digital media between supporters and opponents and how it is expanding. We have noticed through our brief studies that reflect in particular the nature of influence of social media, as well as tracking expressive forms of referral to digital space on both the conventional and the new , creative levels.

***Keywords*:** digital space, novel, media, technology, narration.

***"مملكة الفراشة" بين الواقعية والافتراضية:**

تنهض رواية واسيني الأعرج على معمارية سردية متماسكة النسيج، إذ تعبر في الغالب عن ملامح الصراع الدائم الذي تواجهه شخصيات الرواية مع واقعها المضني، والتحديات الضخمة التي ترتسم أمام تلكم الشخوص، خاصة وأنّ الناص عمد في بناء روايته على إرساء أسس متجانسة ممثلة في أحداث الرواية الرامية لتعرية الواقع المتشابك والمعقد، وتعدّ هذه الرواية من الروايات المعبرة عن إيديولوجية الكاتب وموقفه من مجتمعه المتمسك بأفكار ميتة ومنغلقة، بالإضافة إلى تحري جمالية اللغة والأدب بمختلف مصادره وروافده المنتمية إلى التراث العالمي.

تتعالق مكونات البناء السردي وتشترك في عدد كبير من الخصائص، حتى يلتبس على القارئ تحديد صفة أجناسية على الروائية إن كانت سيرة ذاتية أو خطاب ذاكرة أو حتى رواية مستقلة الكيان وبعيدة عن ذاتية الكاتب في تشكلها اللغوي والأنطولوجي، فالكاتب يجعل أبطال متونه السردية على قدر عال ورفيع من الثقافة والوعي وحتى التميز، الأمر نفسه مع جملة العواقب التي تقف حاجزا في انتصار فواعل الرواية.

اختار الناص أن يؤسس عالما امتزج فيه الواقع بالخيال وما بينهما، إذ عمد في متخيله السردي إلى إنشاء فضاء افتراضي رقمي من منظور التصور والممارسات الفعلية للشخوص الروائية المتفاعلة فقد تعددت التأصيلات النظرية المضطلعة بدراسة تلك الفواعل من بؤر

لغوية دلالية ونسقية خطابية، وحين نتتبع الإجراءات النقدية نجد أنّ تصور دراسة الشخصية الروائية مر هو الآخر ككل العناصر الروائية الأخرى المشكلة للخطاب الروائي بمراحل تعكس تعاقب المناهج النقدية وبحثها الدائم عن أمثل الآليات والتقنيات بغية تشريح النص وتفكيكه لتحقيق مآرب متنوعة، غير أنّ الشروع في عملية تحليل النص وفقا للنظم والأطر المؤسسة في تلك المناهج قد لا يكون ناجعا لدراسة مغزى توغل الأديب في العالم الافتراضي وإسقاطه على الكتاب الورقي، بحكم أن واقعنا المعيش يفرض علينا محاولة وصف مظاهر التكنولوجيا وآثارها على الفرد أولا وانعكاساتها على إنتاجاته الأدبية والفنية ثانيا، مما يستلزم الاستعانة بالمناهج النفسية والاجتماعية والثقافية المعنية بدراسة الظروف المحيطة بالعمل ورصد تفاعله مع الفرد بصفته كائنا اجتماعيا يتأثر وجدانيا بما يتلقاه.

وعليه حصر دراسة الرواية بمنهج واحد ووحيد لا يجدي إذا أخذنا بالاعتبار انفتاح النص الروائي على عوالم قد لا تمت إليه بصلة وفعل اندماجها وانصهارها مع النص فتتشكل بذلك بنية نصية متماسكة ومترابطة تتجدد مع تداول القراءات وتبدل الظروف فـ "مملكة الفراشة" تجسيد لذلك الكل المختلف المتجانس الذي تذوب فيه شتى الأشكال الفنية بغية منحها هويتها الخاصة ولعلّ الحديث عن أثر الثورة الرقمية في صلب الرواية وتكوينها لا يعدّ إلا ملمحا من ذلك الكلّ المتكامل الذي تعبّر عنه في نهاية المطاف.

تتداول الكثير من الدراسات والمنشورات المتخصصة في دراسة تنامي التكنولوجيا في الأدب وأثرها عليه، إن تجاوزنا جدلية الكتاب المطبوع والكتاب الرقمي والمناظرات الحادة في ذلك الشأن، نجد أنّ الجدل نفسه عاد ليشتد حول من يقرّ بضرورة التسليم بحقيقة أنّ العالم والزمن لا ينتظران من تخلف عنهما في المسير، وأنّه من الأجدر السير مع هذا التطور ومحاولة استيعاب ودراسة هذا النقلة النوعية في مسيرتها المتسارعة، بينما يجد البعض هذا التسابق من أجل دراسة معالم الثورة الرقمية ضربا من التحمس غير المبرر كون التجسد الكلي لهذا التصور لم ينفك يتبلور بعد، فتعدّ التكنولوجيا مظهرا من مظاهر العصر الدائمة التغير والخوض في غمار الكتابة الرقمية يعني التفكير الدائم والمستمر في إيجاد آليات وطرق

ليس لتمثل هوية الجنس الأدبي الرقمي الجديد أو لمحاولة معرفة كنه وجوهر هذا الإنتاج من خلال دراسته فحسب؛ بل إنّ الأمر يتعدى هذه الإجراءات إلى تغليب الكتاب الرقمي والحكم على وفاة الكتاب الورقي واندثاره كما نادى بعض النقاد إلى ضرورة التخلي عن ثيمات النقد الأدبي وإجراءاته وتجاوز الرواية العربية التي لازالت تصارع التجريب في فترة ما بعد الحداثة وضرورة اعتماد مناهج أقدر على استيعاب ثوران العالم في مجالات شتى فالجدل القائم بين من ينادي بضرورة مجاراة حركية العصر وبين من يصرّ على أنّ هذه الحركية متذبذبة وغير ثابتة الأطر والمعالم ومن العبث أن تعتمد، في حين أنّ الكتاب الورقي سيظل حاضرا على مرّ الأعصر لم يصل إلى توجه محدد بعد.

- **ملخص الرواية:**

تدور أحداث الرواية حول البطلة **'ياما'** وسلسة الأحداث التي تواجهها في حياتها، إذ قصّ الناص على لسان بطلته واقعها المرير في فترة زمنية عسيرة تمرّ بها البلاد من حيث الاغتيالات والحرب الصامتة المتأججة. رسم الكاتب لبطلته عالمان واحد حقيقي تلفه الحيرة والأسى، والآخر افتراضي يتلون بألوان الفراشات المنتشية بالحياة وبين ذلك وذاك تتذوق الخيبة تلو الأخرى لاسيما فقدانها لأفراد عائلتها الواحد بعد الآخر، كما خسرت صديقها المقرب المؤسس لفرقة الجاز في ظلّ التوتر الأمني المتأزم يتعمق الكاتب في سرد تلك الأحداث بالموازاة مع تعلق البطلة بشخصية روائية مشهورة عبر صفحات التواصل الاجتماعي لمدة زمنية معتبرة لتكتشف في النهاية خداعه لها حين أخفى هويته الحقيقية، وأنه لم يكن في النهاية حلما مزهرا بل وهما مؤلما.

- **الأثر الرقمي في رواية مملكة الفراشة:**

تعدّ الشخصية الروائية عنصرا فاعلا في الدرس السردي المعاصر لا يمكن التملص من سطوتها في صلب الإنتاج الأدبي "جاء في المصطلح الإنجليزي (Personality) دالا على الشخصية وصارت كلمة (Persona) تعني مصطلحا أدبيا بمعنى (القناع الأدبي) أي صار في النقد الروائي يدلّ على الذات الفاعلة ضمن العمل الأدبي، فتتخذ هذه "الذات" أوجها

متعددة ربما كان الروائي نفسه أحد تلك الأوجه"[1]، وهذا ما يميز إنتاجات واسيني الأعرج إذ يضمّن شخصياته الكثير من وقفاته ومحطات حياته المتشعبة "...الشخصية الروائية تمتزج في وصفها بالخيال الفني للروائي الكاتب وبمخزونه الثقافي الذي يسمح له أن يضيف ويحذف ويبالغ ويضخم في تكوينها وتصويرها، بشكل يستحيل معه أن تعتبر تلك الشخصية الورقية مرآة أو صورة حقيقة لشخصية معينة في الواقع الإنساني المحيط بها لأنها شخصية من اختراع الروائي فحسب"[2]، غير أنّ مختلف شخصيات الكاتب الروائية تلتبس فيها الحقيقة مع الخيال فيندمج بذلك القارئ في تلك اللعبة السردية،خاصة حين يضّمن الكاتب نصّه الأدبي أحداثا من وحي الواقع والتاريخ رغبة منه في منح أثر الحياة اللازمة للوصول إلى درجة التفاعل المطلوبة من المتلقي، وهذه سمة بارزة يتميز بها الروائي 'واسيني الأعرج' فكثيرا ما يستلهم أحداث الواقع ليدرجها في متخيله السردي ويصنع لها عالما جديدا ضمن سياقات النص التي تسير وفق أنساق مضمرة تسترعي البحث عنها"... إنّ النص لا بدّ له أنه يعني شيئا بصرف النظر عما إذا كان ذلك المعنى هو الذي قصد إليه مؤلف ما أو لا. النص هنا هو محور القصدية، وهو السلطة المرجعية التي يحيل إليها من يؤمنون بمبدأ القصدية، إننا باختصار نتحدث عن السلطة التي يتمتع بها النص في ظلّ فلسفة توصيل تقوم على مفاهيم الرسالة والمرسل والمستقبل ونظرية لغوية تقوم على قدرة اللغة على الدلالة، وتحقيق معنى ظلّ التوحد التقليدي بين الدال والمدلول الذي ساد الفكر التقليدي إلى أن تمّ نسق ذلك التوحد في بداية ما بعد الحداثة"[3]، فحين نتتبع مراحل تطور النقد الأدبي نلفيه قد جرب العديد من المناهج والأسس من أجل تحليل النص الأدبي وكشف مواطن الجمال فيه، وحتى جدواه في حياة الإنسان وتطور فكره وذهنه مع الأخذ بالاعتبار الحركية الهائلة التي تشهدها العلوم بصفة عامة والعلوم التكنولوجية بمختلف فروعها بصفة خاصة، فالشخصية الروائية تتأثر لا محالة بمحيط الروائي ومختلف التأثيرات الدائرة به وهذا ما نلفيه في صلب الرواية "تعرض أمام القارئ جميع المتناقضات بين مختلف القوى في الحياة الاجتماعية وتبرز الاتجاهات الفاعلة في المجتمع"[4].

بالعودة إلى المتن الروائي تضطلع الشخصية الرئيسة بالعالم الافتراضي الذي أنشأه الناص في جوف الرواية، فقد صنع فضاءً منفتحا رحبا تجوب فيه الشخصية الروائية بحرية وإلى جانب الحدث الرئيس الذي تستند إليه الرواية تتخللها برامج سردية تتصل بطريقة أو بأخرى بـ'ياما'.

حصر الكاتب الحضور الرقمي في روايته من زاوية وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي الكثيرة والمتشعبة ألا وهي 'الفيسبوك' بحكم أنه الوسيلة الأكثر انتشارا من بين تطبيقات التواصل العمومية الأخرى، التي تضمن التقارب السريع للأعراق والأجناس من كافة أنحاء الكرة الأرضية، أضحت وسيلة لا غنى عنها، دخلت في حياة الناس دون استئذان في الجانب الواقعي، ولأنّ الرواية تجسيد وتصوير لخبايا الواقع بحيث أنها تتعايش مع الإنسان في الظروف نفسها من البداية إلى النهاية لم يكن على الكاتب سوى أن يمنح هذه الوسيلة حيزا في نصه الأدبي.

رسم الكاتب في المتن الروائي الشخصية الروائية وهي تتفاعل مع 'الفيسبوك' بصفته شكلا من أشكال الحياة اليومية وعن رأيها الخاص به "أحب الفيسبوك لأنه يربطني بالعالم الخارجي المغلق، وأخافه أيضا، لأني التصقت به في كلّ الأوقات لدرجة أني أدمنته بكثرة وبدأت أكرر نفسي ليس فقط كلماتي، ولكن أيضا في حركاتي"[(5)]، يظهر هذا المقطع السردي تعداد منافع ومضار 'الفيسبوك' فبغض النظر عن كونه وسيلة تضمن تواصل الناس من مختلف الأصقاع في زمن قياسي، إلا أنه يستولي على وقت المشتغلين فيه ويستهلكهم حكم 'ياما' على تلك الوسيلة من الجانبين الاجتماعي والنفسي جاء للتركيز على مضار هذه الوسيلة أكثر من منافعها من الجانب السيكولوجي إذ تخافه، فقد أصبحت مدمنة عليه وذلك دفعها إلى السقوط في جو من الرتابة المملة فتكرر أفكارها وكلماتها داخله وتحصر اهتماماتها في مجال معين منه.

في مواضع مختلفة من الرواية نلفي الكاتب قد بنى هيكل الرواية ومعماريتها على تفاعل الشخصيات الرئيسة مع 'الفيسبوك' إذ تبدأ الحكاية حين التقيا في رحاب 'الفيسبوك'

وتنتهي بانتهاء صلتها داخله "شيء أكبر مني يدفعني نحوه ونحو هذه الزرقة التي جعل منها مارك زوكيربيرغ سكنا لكلّ العابرين بلا زاد ولا خوف"[6]، فالاتصال كان بمعية 'الفيسبوك' والزرقة كانت شعاره، الولوج إليه مجاني يكفي أن يكون الفرد متصلا بشبكة الأنترنت بينما يتعلم الأساسيات بشكل آلي وسلس، فارتباط 'ياما' بالفيسبوك جعلها تبني عالما خاصا بها داخله تماما مثلما فعلت حين غيّرت أسماء جميع المحيطين بها بأسماء شخصيات روائية معروفة كانت قد تأثرت بهم أثناء قراءتها المستمرة للكتب لتحيل على شخصيات مرجعية فالعالم المتخيّل الذي تعيشه البطلة في واقعها اليومي جعلت له رديفا افتراضيا قريبا إليها شعوريا تعيش فيه مختلف الوقائع والأحداث مع كاتب مشهور أطلقت عليه اسم 'فاوست' فتح هذا الأخير– هذا ما كانت تعتقده – صفحة فيسبوك ضمّ فيها جميع محبيه بحكم أنّه روائي وشخصية مؤثرة في المجتمع أغلبهم من وطنه الأم لأنه يعيش الاغتراب في إسبانيا فيتواصل معهم ويظهر حبه لمن يدعمونه ويؤيدون أفكاره ويسرحون بعيدا في أجوائه السردية المتخيلة، والبطلة لم تكن سوى واحدة من هؤلاء، جاء على لسانها قولها: "... قال فاوست وهو يرد بشكل آلي على أصدقاء عديدين في اللحظة نفسها، واللغة نفسها تقريبا مع تغيير خفيف في الروابط المنزلقة هنا وهناك، مشكلة الفيسبوك أنه يفضح كلّ شيء مهما قاومنا غواياته"[7]، العالم الافتراضي الذي أسسته البطلة لنفسها جعلها تتقفى أبسط التفاصيل فيه خاصة حينما يتعلّق الأمر بحركات البطل المفترض 'فاوست' من منشورات وتعليقات على حائطه أو على رواد صفحته، تذكر 'مايا' أنّ 'الفيسبوك' أصبح عالمها اللامحدود وتثني على مميزاته، كونه منح الحرية لها وجعلها تتحرك فيها بالطريقة والشكل الذي تريده "... فأنا الآن متخفية في الفيسبوك ولا يراني أحد إلا من أريد مراسلته"[8] فالشخصية الفاعلة في المتن الروائي تستفيد من كافة الخدمات التي توفرها تلك الوسيلة الاجتماعية، ولم يخف على الأديب التنويه لهذه الميزات التي يزخر بها 'الفيسبوك' كفضاء بديل يحتضن عالما خاصا بـ'مايا' و'فاوست'، لينعكس الفضاء الرحب على سيرورة الأحداث التي تختصّ بها الشخوص الفاعلة بمعزل عن الحياة الواقعية التي تعيشها البطلة بوصفها صيدلانية تعيش اللاأمن والخوف في بلاد ماتزال تتجرع مرارة العشرية السوداء

بشكل أقل وطأة مما كانت عليه في سنوات خلت، غير أنّ الحزازات الدينية والعرقية وجدت سبيلا لنخر وحدة الشعب الواحد، وهذا كان مبرر الكاتب الروائي الذائع الصيت 'فاوست' لكي لا يعود إلى بلده الأم ويعيش نجاحاته في الخارج خوفا من الوضع المتردي ومن القتلة الذين يرفضون أفكاره ومبادئه.

تعاني البطلة إلى جانب كلّ هذه المساحة الفسيحة في قلب 'الفيسبوك' نوعا من الاضطراب والتذبذب حين تتضارب أهواؤها فتضيق ذرعا بفكرة استبداد تلك الوسيلة وتسلطها على حياة الناس دون استئذان"... وأتخفى في ساحة الفيسبوك الزرقاء، ملكتي بحيث أرى وأتابع الجميع ولا يراني أحد، أحيانا أشكر مارك زوكيربيرغ، وفي أحيان أخرى يصعد الدم إلى رأسي فألعنه، وألعن دين أمه، ودين الزرقة التي سرقها للجميع واستبد بها نهائيا لتصبح ملكا له"[9]، تكوين شخصية 'ياما' من الجانب السيكولوجي المفعم بالخوف والحرب جعلها لا تثق ثقة كاملة في ذلك الفضاء الافتراضي ومع ذلك كانت تمضي فيه الكثير من الوقت وتبني داخله العديد من الأحلام بخصوص 'فاوست' بالدرجة الأولى فذلك الفضاء بالقدر الذي نمت فيه الأحلام وتطورت حتى قاربت أن تلامس الواقع الحقيقي للشخصية الروائية بالقدر الذي عرفت فيه الانتكاسة والخيانة "تأكدت في جولاتي الفيسبوكية الليلية في مملكة الفراشة أنّ هناك العشرات مثلي اللواتي كن يتلقين الكلمات نفسها وربما الرسائل المنسوخة نفسها"[10]، فالواقع الافتراضي التفاعلي الذي تعيشه الشخصية في هذه المرحلة تجاوز طرح مميزات الفيسبوك وآثاره على الأفراد ليصل إلى العلاقات التي تجمع رواده مع بعضهم البعض، أشار الناص إلى تقلّب الشخصية الروائية وإدراكها لهذا العالم الهش "... وحياة افتراضية لم أجدها إلا في الكتب ومع فاوست وكنت سعيدة جدا بها"[11]، فالواقعية المفترضة في الأثر الأدبي لا تعدو أن تكون مجرد حياة مضنية ومرهقة فرّت منها جلّ شخصيات الرواية، سواء إن تعلق الأمر بوالدة 'ياما' 'فيرجي' التي أفنت نفسها في قراءة الكتب وعاشت هي الأخرى قصة مع الكاتب –بوريس فيان– الذي مات واندثر منذ سنين عدة واختلط عليها هي الواقع بالخيال، فقد قادتها الوحدة بعد وفاة

زوجها إلى التعمق في قراءة إنتاجات ذلك الكاتب الأدبية ووصل بها الأمر إلى تصوره في كلّ تفاصيلها الحياتية وإن كانت قبل أن تصل إلى درجة متقدمة من الالتباس والهذيان قد حذرت ابنتها من مغبة الإكثار من البقاء على وسائل التواصل الاجتماعي "... كنت أبدو لها مهبولة وبلا تفكير. ملتصقة بجهاز ميت يأخذ من حرارتي أكثر مما آخذ منه. لم يكن الفيسبوك وبقية المواقع الاجتماعية إلا مضيعة للوقت. كما كانت تقول"[12].

انتقاد تلك الوسيلة لم يقتصر على حقيقتها الأنطولوجية المؤرقة والمتعلقة بجدواها أو عبيثتها بل تعداه إلى حقيقة إدمان 'مايا' الشخصية المعقدة التي تملك نظرة انفتاح وتقبل للعالم على سعته وتنوعه وذلك يشمل جمع المتناقضات، حتى وإن كان ذلك يتعلق بالتمسك بالمجهول أو خداع النفس، الفضاء الرقمي لم يعد أحدا بذاك العالم المسالم القريب من المثالية، بل على العكس هو عالم يكثر فيه المخادعون، خاصة أولئك الذين لم يستطيعوا أن يثبتوا وجودهم في حياتهم الواقعية فيختبئون وراء شاشات حواسيبهم ويعيدون اختلاق معطيات وأوصاف لا تمت إليهم بصلة من أجل كسب اهتمام الناس وجلب انتباههم، وبهذا سيكون من السهل عليهم أن يحظوا بالشهرة والتقدير افتراضيا ولن يكون على أحد أن يكتشف هويتهم الحقيقة في ظلّ الكم الهائل من الناس والمعلومات، وهذا ما جعل والدة 'مايا' تنتقد أفعال ابنتها "متى تعرفين أنك تحتاجين إلى رجل تاع الصح وليس إلا صورة مجرد ظلال تأتي عابرة ثم سرعان ما تنسحب وتموت في الضوء ظلال عدوها الأساسي النور. تحتاجين إلى رجل يشعر بك ويبادلك الحنين نفسه ويقودك نحو أجمل الحواس المخبأة فيك"[13]، القارئ لمملكة الفراشة سيدرك أنّ الشخصيات الفاعلة داخلها والمضطلعة بأدوار تمتلك قدرا من الثقافة والوعي، كما أنها تعلمت من الحياة الألم والظلم والحزن الطاغي على جلّ مراحلها، لكنها في العمق هشة تتطلع إلى الحب وإلى التحرر من القيود التي يفرضها عليها الوسط، تريد في أعماقها أن تضع لمعضلاتها الفلسفية حلا مقنعا وترضى بمفهوم الإنسانية ليستطيع العالم التصالح مع نفسه، ومن سذاجة تلك الشخصيات نسج عوالم متخيلة لم تسعفها في إيجاد الحلول لأيّ شيء في نهاية المطاف.

فالعالم الافتراضي الذي تعيشه الشخصيات لم يكن إيجابيا بل على العكس، نهاية حكاية موقع التواصل الاجتماعي "الفيسبوك" كانت تراجيدية حين اتفقت "مايا" بعد عناء طويل مع "فاوست" أن تلتقيه أثناء مراسم حفل توقيع مسرحيته الجديدة التي عرضها في قلب الجزائر بعد سنوات طويلة عاشها في المنفى، لتكتشف في النهاية أن الكاتب الحقيقي لا يملك الوقت الكافي من أجل أن يتجول افتراضيا في عوالم تسبح فيها أرواح تائهة لا هوية لها، تلك الصفحة يهتم بها أحد أقاربه فيجمع كلّ خرجات الكاتب وفعالياته وأهم لقاءاته، وذكر الكاتب نفسه أنّ قريبه غير مؤذ ويجد من عمله ذاك متعة، لم يشر مع هذا إلى أنّه أخطأ بانتحال شخصيته بل لمح إلى أنّه شاب مسكين، فلم يكن لـ"مايا" إلا أن تبتلع خيبتها وصدمتها فلن تتكبد حتى عناء إخبار حبيبها المخادع أنها اكتشفت أمر خداعه لها بل تكتفي فقط بمحو آثاره من على هاتفها، وتلجأ مرغمة إلى فتح صفحة جديدة تتجسد فيها الواقعية أكثر من أيّ شيء آخر.

سبقت الإشارة إلى أنّ "مملكة الفراشة" تتصادم فيها العناصر اللغوية وغير اللغوية وتتداخل، فمورفولوجية الرواية "الواسينية" معروفة أنّها فضاء تمتزج فيه كلّ الفنون من رسم وموسيقى ومسرح وغيرها من إبداعات الإنسان على مرّ تاريخه، فالرواية المعنية بالدراسة تتلاحم فيها المكونات غير اللغوية، فالبطلة تنتمي إلى فرقة جاز، كما أنّ "فيرجي" استدعت رساما ليرسمها مع كاتبها المحبوب، وابنتها "ماريا" هي الأخرى لديها ميول للرسم، تضافر كلّ هذه المكونات أسهم في إثراء المتن الروائي والتعبير عن الشخصيات بما يتواءم مع رصد واقعها المتخيل وكأنها تعيش حياة طبيعية، بيد أنّ إدراج تلك الفنون لم يكن غرضا في حدّ ذاته بل تجسيدا لهويات الشخصيات الفاعلة في النص ومنبرا تعبّر فيه عن نفسها، ويعدّ الفضاء الافتراضي الذي تورطت فيه الشخصية البطلة واحدا من تلك المؤثرات الجانبية لحياتها التي تقاذفتها آلام العائلة المتفككة، والحبيب المجهول والعمل المهدد بالضياع في أي حين.

العالم الافتراضي الذي رمز له "واسيني الأعرج" بإحدى وسائل التواصل الاجتماعي "الفيسبوك" لم يكن سوى صورة لصور الفرار من الواقع المر، ولم يكن أيضا عالما بديلا يمنح

شخصيات الرواية الحرية اللازمة لتندمج معه شعوريا بشكل يضمن الاستمرارية لها، لقد لمّح في عدد من المقاطع السردية أنّ ذلك المكان يسبب الوحشة والكآبة حين يفقد جوهره السيكولوجي للأشخاص الفاعلين فيه، فـ'ياما' دائما ما كانت تنصرف إلى مكتبها بغية تحرير رسالة مكتوبة بخط يدها لحبيبها المفترض 'فاوست' وقد دأبت على تلك العادة طيلة ثلاث سنوات حتى وجدت نفسها قد كتبت أكثر من سبعمئة رسالة، عقدت العزم على تقديمها له في اليوم الذي تلتقيه فيه، وبالعودة إلى المقاطع السردية التي جمعت 'ياما' بـ'فاوست' نلاحظ أنّ الفقرات متوسطة الطول حاول الكاتب أن يحافظ على خصوصية الدردشة التي تعتمد على الحوار، وعلى قصر الجمل نسبيا وإن كان في مرات عدة يتملص من هذه القاعدة حين تستبد المشاعر بالشخصيات وحين يتخلل الحوار الداخلي –'مايا'– وهي تسرد أفكارها على متلق يمكن له أن يفهم حالتها المتفاقمة، فالقارئ المعاصر يعي كلّ هذه التفاصيل وقد تكون هذه الحكاية هي حكاية قراء كثر منهم من تعرض للاحتيال والخداع، والذي يميز الدردشة أيضا انقطاع الحديث دون سابق إنذار حين تعلو نفحة برودة على المحادثة فلا يرضى أحد الطرفين بالتعقيب على الآخر ليستبدّ بهم الكبرياء في أحيان عدة، سبب الخلاف يكمن في غموض 'فاوست' وتقربه من جميع رواد صفحته مما جعل 'ياما' تشعر بالغيرة وتترصد حركاته، بالإضافة إلى أنها تطلّعت علّه يرسل لها سيارة لكي توصلها إلى المسرح فلم يبادر بشيء، لهذا آثرت أن تعبّر عن كلّ شوقها وشجونها في تلك الرسائل.

بالتمعن في تعدد البرامج السردية الأخرى التي تخللت الرواية لتمنحها حجمها الذي هي عليه، نجد حكاية 'مايا' مع 'فاوست' بمثابة عمود للرواية، تنتهي الرواية حين تكتشف البطلة حقيقة 'فاوست' وإن كانت تلك الحكاية تزدحم معها العديد من الحكايات الأخرى شهدتها البطلة على مراحل وتتعلق بالمقربين منها، فالفضاء الافتراضي الذي اقترض مساحة في الرواية أشار إليه الكاتب على أنّه فضاء طارئ وأنّ البطلة وجدت فيه كذبة غذتها أحلامها على مدار ثلاث سنوات لتكلل في النهاية بالخيبة وأن تواصلها معه كان في الأصل من خلال الرسائل المكتوبة وليس عبر الفضاء الرقمي، والنهاية التراجيدية التي اختتم بها الكاتب روايته دليل على ذلك مع إحالة على علاقة جديدة ستعيشها البطلة مع كاتب مسرحي ناشئ كانت التقت به يوم عرض المسرحية.

تكمن جمالية 'مملكة الفراشة' في كونها تعبيرا حيا عن تصور الكاتب نفسه الذي يمكن له أن يعيش تلك القصة، وانصرافه إلى حشو نصه بالعديد من الأمثلة الروائية لكتاب عكفت الشخصيات الفاعلة على قراءتها، تركيزا منه على أنّ الأدب في جوهره لا يمكن له أن ينسلخ من تلك الرموز بالرغم من تبدل العصور، وأن الفضاء الرقمي لا ينبغي له أن يكون غاية بل وسيلة لا بدّ من حسن استغلالها، وإن كانت جزءا لا يتجزأ من سيرورة حياة الناس، لم ترد إشارة إلى الفيسبوك سوى أنّه أزرق وأنّ هناك خانة للمحادثة والدردشة تضيء باللون الأخضر وحائط ينشر فيه المتفاعلون –تفاعلا مع الأوضاع الراهنة– أراءهم وتفاصيل حياتهم اليومية أو يتداولون فيه مجمل القضايا الدارجة، فالكاتب ركّز على تعامل الشخصيات معه بصفته وسيلة تواصل لا غير.

*** رواية 'شات' من التنظير إلى التطبيق:**

• رواية الواقعية الرقمية تأصيل للنوع والشكل:

لم يضبط مصطلح الأدب الرقمي بعد، إذ نجد اختلافا في إرساء تعاريف متفق عليها فهناك من يربط الأدب الرقمي بالأدب الذي يستغلّ الوسائط الإلكترونية كتابة ونشرا وهناك من يراه أدبا متكيّفا مع التطبيقات التي تشغل حقل الإعلام الآلي وتتطور بتطوره فيتداخل بذلك الأدب مع العديد من العناصر التي تعتمد أساسا على الروابط الإلكترونية المتشعبة، عرف جميل حمداوي الأدب الرقمي بقوله: "يقصد بالأدب الرقمي ذلك الأدب السردي أو الشعري أو الدرامي الذي يستخدم الإعلاميات في الكتابة والإبداع. أي يستعين بالحاسوب أو الجهاز الإعلامي من أجل كتابة نصّ أو مؤلف إبداعي. ويعني هذا أنّ الأدب الرقمي هو الذي يستخدم الواسطة الإعلامية أو جهاز الحاسوب أو الكمبيوتر ويحول النص الأدبي إلى عوالم رقمية وآلية حسابية"[(14)]، فالأدب الرقمي يتخذ الوسائط التكنولوجية سبيلا لكي يتشكل وينبثق للعيان، كما كان قد أقرّ 'محمد سناجلة' في مؤلفه 'رواية الواقعية الرقمية' عن هذا التوجّه الجديد للرواية برعاية النقلة النوعية للتكنولوجيا قائلا: "... أعرف أنني قد جئت ببدعة جديدة لم تكن من قبل لكن وكما اتضح لي فإنّ كلّ

بدعة مرفوضة حتى تترسخ وتثبت أقدامها على الأرض فيتبعها حتى أشدّ معارضيها، هذه سنة الحياة منذ بدء البدء، ولنا في أبي تمام وابن عربي وأدونيس، وقبلهم المعلم الأكبر مثل وقدوة وكلّ بدعة بحاجة إلى من يدافع عنها وقبل كلّ شيء أن يعطيها اسما تعرف به وقد أطلقت على هذه البدعة اسم رواية الواقعية الرقمية"[15]، مهد 'محمد سناجلة' لميلاد رواية قد لا تحظى باعتراف الجميع مع تأكيده أنّ هذه الرواية ستجد لها مكانا في المستقبل بفعل تطور العصر وحين تصبح التكنولوجيا لصيقة بالإنسان تتحكم في جلّ مسارات حياته وقد افترض العديد من الأمور الممكنة الحدوث في السنوات القادمة كتلاحم الجنس البشري مع بعضه البعض فيصبح له هوية واحدة لغة واحدة ودين واحد "حتى أمسى العالم كلّه ليس قرية صغيرة كما كان شائعا في العصر التكنولوجي بل أصغر من حجرة صغيرة في بيت، بل أصبح العالم شاشة... مجرد شاشة زرقاء"[16]، فالأدب حسب 'سناجلة' لا بدّ له أن يتماشى مع هذا التطور فيكتسي حلّة جديدة بفعل التطور الهائل "لقد جاءت الرواية لتعبّر عن العالم سواء رفضا أو إيجابيا ولتستشرف المستقبل، والروائي مكتشف قبل كلّ شيء لأنّ له عينا ثالثة، ليست لدى الآخرين –الروائي المبدع لا المقلد طبعا– وهذا الروائي معني تماما بالزمن... الزمن القادم وبالجغرافيا الأخرى... الجغرافيا القادمة"[17]، وحين نتعمق في مواقف 'سناجلة' عن كنه الرواية الرقمية نلفيه يركز على إخراج الرواية وفق التطبيقات التي تعتمدها التكنولوجيات ووفق الروابط Links التي تحيل على عوالم أخرى ترتبط بالرواية دون أن تعبر عن فحواها الرئيس، لتتدخل في المتن الروائي عناصر غير لغوية تسهم في الإخراج النهائي للمتن الأدبي.

استوحى 'محمد سناجلة' فكرة الدخول في مغامرة إخراج الرواية الرقمية من خلال رواية 'ظلال الواحد' حين تبّحر في الغمار الرحب للتكنولوجيا التي بدأت تغزو كافة المجالات فقد ذكر في مؤلفه التنظيري تجربته الحقيقية مع مواقع التواصل الاجتماعي وعن نيته في إخراج عمل جديد وسمه بـ'شات' كإحالة مباشرة على الفضاء الرقمي. تعبر 'شات' في جوهرها عن شخص الكاتب نفسه إذ تعكس تفاعله الذاتي مع أحداث عايشها في وقت

مضى، أي أنّه استثمر تجربته الشخصية في إنشاء رواية تعتمد على ركائز رقمية، تقترب من ذات القارئ العصري وتحاور حواسه وأفكاره حتى وإن لم تكن وسائل التواصل الاجتماعي في عام 2005 تحظى بالرواج والتنوع والانفتاح الذي تشهده وسائل اليوم، إلا أنّ الكاتب استثمر شهرتها البسيطة وعاصر كلّ التغيرات التي شهدها الإنسان في تلك الفترة الزمنية.

ذُكر سابقا أنّ الروائي لخص –بالتقريب– أحداث رواية 'شات' في كتابه 'رواية الواقعية الرقمية' قبل أن تصدر في شكلها الرقمي، التي قصّ فيها تجربته الشخصية في العالم الافتراضي، نلفيه في كتابه التنظيري قد علّق على هذا الأمر قائلا: "... فما يحدث هو خيال بالتأكيد ولكنه خيال واقعي، مادي ملموس ومحسوس –خيال معرفي– فأنا حين أجلس ست أو سبع ساعات متصفحا شبكة الأنترنت مثلا، فإنني أعيش في عالم آخر وواقع آخر متخيّل من جهة، ولكنّه حقيقي ومحسوس من جهة أخرى"[18]، تيقن الكاتب من سطوة هذه الوسائل على الإنسان وتأثره بها عن تجربة شخصية جعله يبادر لأن يخطّ رواية تعبر عن ذلك المحيط من جهة واستغلاله لوسائل وتقنيات التكنولوجيا في تشكيل الصورة النهائية للرواية من جهة أخرى.

- **ملخص رواية 'شات':**

تتعلق الرواية بشخصية 'محمد' الذي يعمل في الصحراء، يعيش هناك جوا من الرتابة والملل المؤذي بحيث يرى الوجوه نفسها تتداول عليه فترات معينة من اليوم فهو يقطن مع أناس من جنسيات مختلفة من العالم. كان قد قرر أن يتقاعد في عمر الخامسة والثلاثين حين يتمكن من جني المال فيقوم ببناء بناية ويعيش سنواته القادمة على أموال يجنيها من تأجير تلك البناية، ذكرت الشخصية الرئيسة أنها ومن يعمل في تلك الشركة التي تضمّ مختلف الجنسيات يعيشون حياة بلا روح بالرغم من أنّ رغباتهم عارمة في تحقيق جملة أهدافهم.

يصادف أن يتلقى 'محمد' رسالة بالخطأ من امرأة اسمها 'ليليان' تتوسل فيها حبيبها ألا يتركها وإلا ستقدم على الانتحار، ليذعر 'محمد' من تلك الرسائل خاصة حين أكد لها أنها

أخطأت في الرقم، تطلب منه أن يلاقيها على 'الشات' فيتصل بها افتراضيا وشعوريا هي وباقي مكونات العالم الافتراضي لينصرف شيئا فشيئا من حياته التي اعتاد عليها فيطرد من عمله بسب كثرة تأخراته واستهتاره، ويعمد إلى اقتناء قاعة الإعلام الآلي الكائنة في المكان الذي يعيش فيه، أنشأ صداقات عديدة مع أناس لا يعرف عنهم سوى ما يبوحون هم به ترأس تجمعا في صفحة أنشأها تتغنى بالحب والشعر، ازدهرت تلك الصفحة وأضحى محمد أو 'نزار' شهرة وحظوة لدى الناشطين فيها مما سبب نوعا من المشاحنات بين أعضاء المجموعة بغية التقليص من دور 'نزار' ورفع لقب ملك المجموعة عنه، ليترك 'نزار' تلك المجموعة، بالرغم من توصلهم إلى اتفاق بعقد انتخابات للفصل في أمر العزل وفوز 'نزار' بها في الأخير، بعدها تمرد معارضوه على نتائج الانتخابات، ليغدو الجو سوداويا متدنيا في لغة الخطاب والتعامل مع أعضاء المجموعة بعضهم ببعض، مما أدّى إلى انسحاب 'نزار' من المجموعة وبيعه قاعة الإعلام الآلي وعودته إلى موطنه أين حاولت طليقته العودة إليه، غير أنّه عزف عنها، وفي مرة من المرات يعاوده الحنين إلى أوقات السمر على موقع الشات فيختتم المتن الروائي بعودة 'نزار' إلى أجواء العالم الافتراضي ليفرغ فيه جملة تطلعاته وآماله.

- **العتبات:**

الذي يميز الرواية الرقمية تحررها من الصفة النمطية السائدة المعبرة عن الرواية في مختلف عصورها، بالحديث عن الغلاف الورقي والشكل النمطي للكتاب تنفرد رواية 'شات'[19] بفضاء خاص بها وبهيئة تميزها عن أيّ رواية أخرى كما يتميز غلاف كلّ رواية عن مثيلتها فمن أول وهلة تظهر أول صورة مصحوبة بموسيقى للإعلان عن فيلم من الأفلام، الأمر نفسه مع أول صورة ترتسم على أبصار المتلقي إذ يظهر عنوان الرواية مصحوبا بموسيقى صاخبة نوعا ما، تحفز الأذن على التفطن أنّ أمرا ما على وشك الحدوث لذا لا بدّ من الاهتمام.

يحيل الغلاف الفيلمي المتحرك أو ما يسمى في عرف السينما بالجينيرك على جو التكنولوجيا والخيال العلمي بشكل عام، يظهر للمتلقي أنّ رقم الواحد والصفر اللذان يتساقطان في الخلفية مؤشران على عالم الرقمنة وعالم الحوسبة، لم يكن ليوجد الحاسوب لولا الرقمان (1-0)، وللمتعمق أكثر في مجال السينما أن يحرك ذلك اللون الأخضر مخيلته فيتذكر فيلم "ماتريكس Matrix" إذ يطغى على الفيلم ككل اللون الأخضر الداكن وسيتأكد أكثر من هذا حين يبدأ رحلة القراءة ويستشهد الكاتب بمقطع من الفيلم ليعزز وجهة نظره في المتن السردي فالصورة والصوت أبلغ من الكلام.

تساقط الأرقام يتبعه ظهور عنوان الرواية، من ثم اسم الكاتب وبعدها جنس العمل الذي أطلق عليه الكاتب مصطلح 'رواية واقعية رقمية' يستقر اسم الكاتب وعنوان روايته في أعلى كلّ صفحة الكترونية، يصطدم القارئ بعدها بمشهد لكثبان رملية في صحراء قاحلة تصحبها أصوات رياح عاتية توحي بالوحشة والوحدة القاسية، لينبثق بعدها المتن السردي بخط كبير وواضح، يتلقاه القارئ كما اعتاد على المؤلف الورقي الفرق يكمن في أنّ المتن متجسد على شاشة الحاسوب أي بصيغة رقمية.

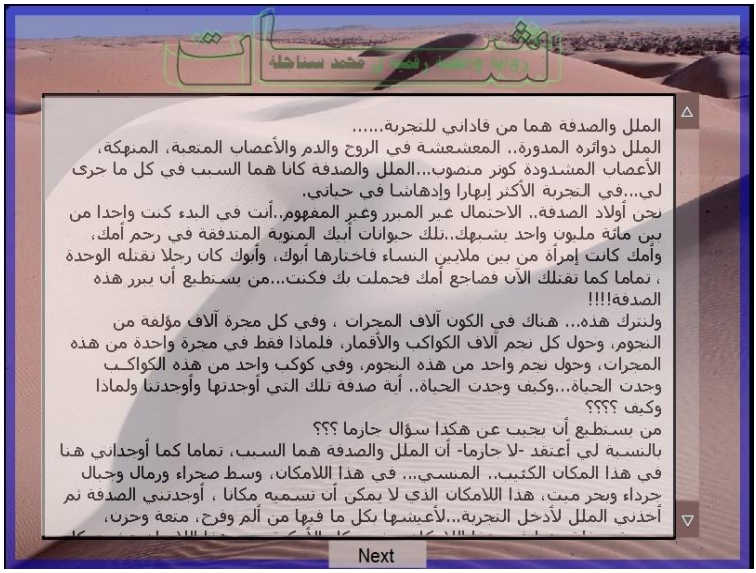

وتبقى خلفية الصحراء حاضرة أثناء القراءة، على القارئ أن يستعين بمؤشر الفأرة ليواصل قراءة المتن، بعد أن يفرغ الكاتب من قراءة الجزء الأول من الرواية الرقمية يقوم بالضغط على next' لتنبثق أمامه صورة أخرى لبلدة يحوطها النخيل، من خلال المنظر العام للصورة يظهر أنها صورة لبلدة صحراوية تنتصب وحدها في قلب الصحراء، خصص الكاتب للمقطع الثاني من المتن السردي للرواية عنوانا باللون الأحمر بالخط الغليظ عكس المقطع الأول أو الفصل الأول حيث ولج الناص بمتلقيه إلى جو الرواية العام بتجاهل العنوان والاعتماد على اللغة الوصفية. نسب الكاتب لباقي فصوله عناوين سردية تعبر بطريقة مباشرة عن مضمون المتون الملاحظ على هذه الصورة وجود أيقونة back' يمكن للمتلقي أن يعود للفصل الأول متى ما أراد للقراءة مجددا.

بتفحص الرواية يجد المتلقي نفسه أمام رسم أيقونة في شكل هاتف في وضع الهزاز يمكن النقر عليها، لتنبثق الرزنة المدرجة في المتن فتثير حواس القارئ المتفاعل مع كلّ مثير جديد، خاصة وأنّ الكاتب استثمر خصائص العالم الرقمي ليضمن مختلف الميزات فيه من أصوات ورسومات رصفها في شكل مشاهد تأخذ دور التقديم لبداية كلّ فصل، الألوان الزرقاء والحمراء في المتن تحيل على الدخول في صفحات جديدة على شكل محادثات التواصل الاجتماعي في أول صورة لها بما أن الرواية صدرت عام 2005، تحرى الكاتب إخراجها وتصميمها بالشكل الذي يتماشى مع الصورة النمطية لتلك الوسيلة، وقد تباينت اللغة بين العربية اللغة المستعملة في التواصل بين أعضاء المجموعة والتي تخللتها اللهجة العامية في مواضع من الحوارات المتبادلة، واللغة الإنجليزية كلغة إعدادات برنامج 'الشات'.

تتوالى محادثات 'نزار' مع أصدقائه الافتراضيين وتتعدد مع تلك المحادثات النوافذ الظاهرة، إذ يمكنه التحكم في إعداداتها وتوجيه الحديث إلى كلّ أفراد المجموعة المنتمين إلى غرفة دردشة واحدة، وحتى يمكنه الانفراد بالحديث مع كلّ واحد منهم على حدة، وهذا ما يظهر للمتلقي إذ إنه يحظى بتجربة الشخصية الرئيسة نفسها تقريبا ويتمكن من النقر على مختلف الإعدادات في تلكم النوافذ المتلاحقة والمنظمة. باختصار تسير الرواية الرقمية في هذا

الاتجاه في مجملها، فإن أراد الكاتب أن يعبّر عن دواخل شخصيته الفاعلة بعيدا عن شاشة حاسوبها تظهر أمام نظر القارئ صورة بخلفية معبرة أساسا عن فحوى عبارات المؤلف.

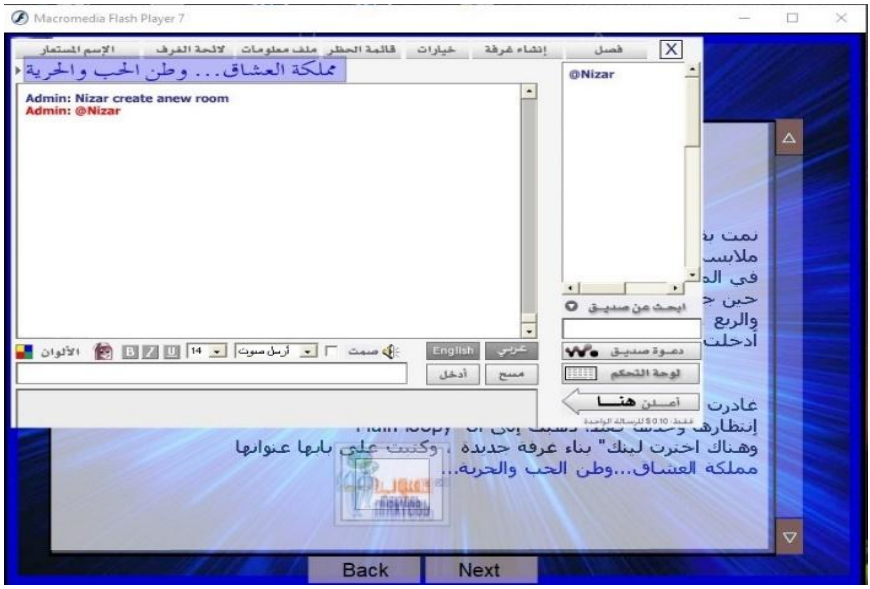

- **معالم 'شات' التصويرية والتجريدية:**

استطاع 'محمد سناجلة' بناء رواية رقمية، وأسس لها وجوديا، مستعينا ببرامج إلكترونية وتطبيقات ذكية اصطناعيا حتى يمنح روايته الهوية الشرعية، فهي تخرج من صلب الرقمنة العصرية لتستعرض للمتلقي تجربة مثيرة لم يكن ليجد لها مثيلا بتصفحه الرواية الورقية فالرواية الرقمية تغذي خيال الملتقي وتضمن تفاعله مع أحداثها من خلال توظيفه لحواسه من سمع ورؤية فتتلاحم كلّ تلك الوسائل مع إدراكه ووعيه بها.

التحدّي الذي رفعه 'سناجلة' كان من خلال نجاحه واستمراره في استحداث روايات رقمية بالمعنى الواقعي لها، إذ يرفض أن يطلق على تلك الروايات الممسوحة ضوئيا وإدخالها للحاسوب أدبا رقميا لمجرد أنه يستغل الوسائط الإلكترونية وعرضه أمام متلق يتفاعل مع نص مكتوب انطلاقا من شاشة الحاسوب أو باقي الوسائل التكنولوجية الأخرى، كما يعتقد أنّ الرواية آن لها أن تلج العوالم الرقمية هي الأخرى رفقة باقي المجالات الحيوية التي

تستفيد من تطور التكنولوجيا فتحسّن من وضعها وتتطور هي كذلك بفضلها، ومحاولة سناجلة تتطلب توافر حاسوب وتطبيق إلكتروني مسخر لهذا النوع من البرمجيات يسمح بإيراد صور تكون خلفيات للنصوص السردية، مع الاستعانة بمقاطع موسيقية في أرجاء مختلفة من الرواية، وكذا اختيار أو صناعة مقاطع فيديو تتخلل المقاطع السردية، يختارها –المؤلف المبرمج– لتتماشى مع أجواء نصه وأحداثه، حتى يتمكن المتلقي من أن ينقر على روابط تلك الأغاني أو الأفلام فيستمع أو يشاهدها كاملة عبر الأنترنت، فالرواية الرقمية أضحت هي الأخرى عالما موسوعيا يمكن للقارئ أن يتفسح فيه بتوجيه من المؤلف الذي لن يعتمد فقط على سلطة النص وتأثير الكلمة للتعبير عن الجمالية والفكرة.

بالحديث عن المتن الذي تنهض عليه الرواية الرقمية نلفيه غير بعيد عن الجو الذي يصنعه تصميم الرواية بمؤثراتها البصرية والسمعية، فالكاتب عالج الحياة النمطية لرجل يعمل في صحراء قاحلة يخطط للعمل بكد لضمان مستقبل مريح، تتغير حياته كلها إثر رسالة نصية أدخلته عالما لم يكن له به علم، فيتعرف على النت بمعنى أنّ تجربة الناس مع الأنترنت يمكن أن تغير فيهم الشيء الكثير حتى أن الكاتب جعل شخصيته تعيش كلّ المشاعر التي تنتاب الإنسان في حياته، وقد أدمن على ذلك العالم إذ قرر شراء مقهى للأنترنت لكي يتفرغ لتلك الدردشات اليومية، عالم افتراضي استلب منه حياته في مقابل أن يعيش نسخة أحلامه الافتراضية عبر فضاءات كهرومغناطيسية بمحض إرادته، إشارة إلى انصهار الإنسان فيها حتى يتلذذ بالوهم والهذيان اللذين جعلاه سعيدا في فترة محدودة من الزمن ليقرر نسيان كلّ تلك التجارب القاسية، والعودة إلى واقعه الذي لم يبق فيه شيء يشده إليه، ولعل خاتمة الرواية المفتوحة التي يتوقع فيها القارئ أن 'نزار' عاد من جديد وأنشأ غرفة محادثة جديدة، لدليل على انغماس الشخصية الرئيسة في العالم الالكتروني الهش.

حين نسلط الضوء على الثيمات المتجسدة في المتن الروائي نجد رؤية الكاتب للواقع المتغير بفعل سعي الإنسان إلى التجديد والتطور قصد تحسين وضعية حياته في الغالب، كما يعد العالم الإلكتروني أحد ملامح هذا التطور، فما كان للدراسين والمختصين في الحقول

الإنسانية والاجتماعية إلا أن يتتبعوا انعكاس الثورة الرقمية على حياة الفرد والمجتمع، وترجمة سناجلة لجملة رؤاه فيما يخص الافتراضية ودورها في حياة الفرد العادي، فقد أقرّ بنفسه حتمية استغلال التكنولوجيا والتماشي معها بالشكل الذي يعين الإنسان على التحسن والمضي قدما، غير أنّه بسط للقارئ الجانب المظلم من هاته الوسائل الرقمية من خلال استعراض تراجيديا شخصيته الرئيسة، فوسائل التواصل الاجتماعي سلاح ذو حدين؛ هي مفيدة لمن يستطيع استغلالها لمصالحه ومضرة لمن يتوسل الاهتمام والتقدير الافتراضيين، في عالم يتنافس فيه الناس على الشهرة والتميّز، لأنّ العصر الحديث جلب معه العديد من الأمراض التي رافقت تصاعد دور التكنولوجيا وأهميتها وسطوتها، إذ إن معدل الانتحار في تنام لدى تلكم الشخوص التي تعاني التنمر على وسائل التواصل الاجتماعي مما يفقد الإنسان ثقته في نفسه بسبب الضغط الهائل الذي تمارسه السلطة الاجتماعية، تماما مثلما وقع لشخصية 'نزار'، الذي انقلبت حياته رأسا على عقب، فتأثيرها العميق عليه امتد حتى تخلى عن اسمه الحقيقي مؤسسا لنفسه شخصية افتراضية بكامل أوصافها، دون اكتراثه بواقعه أو مستقبله الذي سبق وأن خطط له بإحكام من قبل.

- **تحديات وآفاق الرواية الرقمية:**

يقع على عاتق كتاب الرواية الرقمية والذين يتقدمهم 'محمد سناجلة' الكثير من العمل والمعرفة، فالكاتب لن يكون بصدد تحرير نص سردي فحسب بل عليه أن يكون مخرجا له أيضا، فالرواية الرقمية تجاوزت الكلمات والعبارات السابحة في فضاء أبيض يجتهد فيه القارئ لرسم صور متخيلة متعلقة بالأحداث الروائية الملقاة بين يديه، فهو يجد في الرواية الرقمية فضاء أوسع، غير أنّ إقبال القراء على الرواية الرقمية بوصفها إنتاجا إلكترونيا أصيلا لا يزال محتشما؛ بحيث أنه لا بدّ من تحميل عدد من البرامج لكي يستطيع القارئ تحميل الرواية وقراءتها، كما أنّ سعة تلك البرامج كبيرة نسبيا ولا يمكن أن تكون إلا على الحاسوب أضف إلى ذلك الأضرار التي يمكن أن تلحقها الأشعة المنبعثة من الأجهزة الالكترونية ببصر الإنسان بالإضافة إلى الوضعيات الخاطئة التي يتخذها الإنسان ومكوثه المطول أمام تلكم

الأجهزة، مما يشكل عزوفا لدى قسم من الناس في استعمالها وانصرافهم إلى الكتاب الورقي ليتحقق الاتصال الحسي المباشر دون وسائط تذكر، في حين يشجع الكثيرون تداول الكتاب بصيغة رقمية لكونه أكثر اقتصادا للوقت والمال فأضحى بذلك ضرورة حتمية بالنسبة للفرد العصري المتمكن إلى حدّ ما من التكنولوجيا والمستعين بها في سائر أطوار حياته اليومية.

من المرجح أن تتقدم الأبحاث من أجل تحسين النقائص ودحض الانتقادات المرتبطة بالمجال التكنولوجي بصفة عامة، وإن كان إقبال الناس عليها اليوم لم يعد اختياريا عبثيا فهي مسخرة لتلبية حاجيات الإنسان المختلفة، وهذا ما ركز عليه **'محمد سناجلة'** في كتابه الواقعية الرقمية، إنّ مواكبة الكاتب لهذا التطور من خلال اعتماده على برامج محدثة قصد إخراج العمل بشكل يرضي تطلعات قارئ عليم مطلع على أسرار الإعلام الآلي والشبكة العنكبوتية سيرفع من واقع الرواية الرقمية وقيمتها ووزنها إلى مستويات أرفع ويجعلها فنا رقميا خلّاقا، مثلما أصبح للموسيقى صنف جديد يعرف بالموسيقى الرقمية، كذلك التطبيقات المعينة على الرسم بشكل جديد وخلّاق لم يكن ليعرف لولا التكنولوجيا بأقسامها المتنوعة.

خاتمة:

أضحى البحث في آفاق التكنولوجيا وتأثيرها على الفنون الأدبية في فترة من أخصب الفترات التي يتنامى فيها دور الرقمنة في مجالات عدة إن لم يكن كلها؛ من أكثر الأمور الناجعة التي يضطلع الباحث بدراسة جدواها وعمق تأثيرها في سيرورة الحياة بشكل عام ولعلّ هذا المقال واحد من الدراسات الهادفة إلى تتبع تجليات الفضاء الرقمي في المتخيل السردي، مع أخذ نموذجين أدبيين يشتركان في الموضوع ويختلفان في طريقة التقديم إن كان من الجانب الشكلي اللغوي أو من جانب الإخراج –رواية رقمية ورواية ورقية–. ومن أهم النتائج المتوصل إليها:

* يمكن استغلال التكنولوجيا والوسائط المتعددة في إخراج نص روائي متمسك بهويته الأجناسية.

* الأديب يتفاعل مع متطلبات العصر ومتغيراته، وعليه تقع مهمة رصد نماذج متفاعلة مع واقعها المعيش بسلبياته وإيجابياته مما يمنحه القدرة على الاهتمام بالمتلقي العصري.
* تحرر الأديب من الصورة النمطية ودخوله تجربة الإخراج مما يفتح آفاقا جديدة للأدب.
* التأسيس لموقع أو منصة تنشر فيها الروايات والقصص كالمدونات، ويقنن فيها كيفية إخراج العمل الرقمي.
* على النقد أن يساير طبيعة هذه الأعمال ويتكيف معها، بحيث يكشف عن جمالياتها وإيحاءاتها.
* الاستفادة من الفضاء الرقمي لضمان شهرة الأعمال الروائية وانتشارها على مستويات عالمية بسرعة وفعالية.
* شيوع أنواع عدة من الأدب الرقمي ممثلة في المدونات مما يفتح آفاق الإبداع ويمنح الفرصة لبروز المواهب الإبداعية.
* تحوير اللغة في الفضاء الرقمي، وشيوع الاختصارات والرموز المتواطأ عليها في رحب وسائل الاتصال الإلكتروني.

استغلال الأديب لأدواته الفنية ولجملة الحكايات المترامية أمامه (الواقع)، قد لا يكون دائما السبب الحقيقي لتحرير رواية يأتمنها على جذوة أفكاره ويرجو منها تحقيق تطلعاته وهذا ما عبّرت عنه شخصيات رواية 'مملكة الفراشة' لواسيني الأعرج ورواية 'شات' لمحمد سناجلة وذلك من خلال الهروب من هذا الواقع المأساوي الذي استبدلته الشخوص الروائية بعالم لا يتواجد إلا في رحب الموجات الإلكترونية وفي مدارها الخاص، كلّ حسب طريقة استعراضه وتعامله مع الفضاء الرقمي.

الهوامش والإحالات

(1)– دي فوتو برنارد، عالم القصة. تر محمد مصطفى هدارة. عالم الكتب (القاهرة).1969. ص40.

(2)– آمنة يوسف، تقنيات السرد (في النظرية والتطبيق). دار الحوار (سوريا). ط1. 1997. ص40.

(3)– عبد العزيز حمودة، الخروج من سلطة التيه (دراسة في سلطة النص). عالم المعرفة. ع298. المجلس الوطني الأعلى للثقافة والفنون (الكويت). 2003. ص131.

(4)– صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي. دار الأفق الجديد (بيروت).1986. ص154.

(5)– واسيني الأعرج، مملكة الفراشة. دار الصدى (بيروت). ط1. 2013. ص44.

(6)– نفسه. الصفحة نفسها.

(7)– نفسه. ص51.

(8)– نفسه. ص73.

(9)– نفسه. ص61.

(10)– نفسه. ص73.

(11)– نفسه. ص93.

(12)– نفسه. ص 153.

(13)– نفسه. الصفحة نفسها.

(14)– جميل حمداوي، الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق (نحو المقاربة الوسائطية).كتاب الكتروني بصيغة pdf رابطه: الأدب الرقمي – بين النظرية – والتطبيق– المستوى – النظري .ص 15. –https://ebook.univeyes.com/105243/pdf

(15)– محمد سناجلة، رواية الواقعية الرقمية. رابط الكتاب بصيغة pdf: http://www.arab-ewriters.com/bookDetiles.php?topicId=5. ص8–9.

(16)– نفسه. ص12.

(17)– نفسه. ص29–30.

(18)– محمد سناجلة، رواية الواقعية الرقمية. (م س). ص22.

(19)– لا بدّ من تحميل برنامج "Macromedia Flash Player" من أجل قراءة رواية 'شات' الرقمية'، تحميل رواية 'شات' يكون بالولوج إلى الرابط التالي:
.http://bit.Ly/1l:!bx,lbklmfdjllvclcvl,bljklfjkv,;cv,;v,c;,bkjnkklm$ds^^{t} ^$tppKNVD25